العلل الجارية مجرى الزحافات

بحث في مادة العروض

إعداد/ أحمد محمد عيسى
قسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
ahmed.mahdey@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في العلل الجارية مجرى الزحافات.
الكلمات المفتاحية: العلل، الزحافات.

I. *المقدمة*

قدمنا لك أن العلل تلزم ما تقع فيه، وأنها لا تكون إلا في عروض أو ضرب، وأنها تنال الأوتاد كما تنال الأسباب . والآن نظهرك على أن بعض العلل يخرج عن هذا الأصل، فلا يلزم، بل يكون جاريًا مجرى الزحاف في الطروء والزوال.

II. *موضوع المقالة*

قدمنا لك أن العلل تلزم ما تقع فيه، وأنها لا تكون إلا في عروض أو ضرب، وأنها تنال الأوتاد كما تنال الأسباب.
والآن نظهرك على أن بعض العلل يخرج عن هذا الأصل، فلا يلزم، بل يكون جاريًا مجرى الزحاف في الطروء والزوال.
١- ترى ذلك في نحو قول أبي الطيب:
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخفّ منه الحمام
من يهُنْ يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام
ونقطع الأول هكذا:
ذل من يغ (فاعلاتن) بط الذلي (متفعلن) ل بعيش (فعلاتن) رب عيش (فاعلاتن)
أخف منـ (متفعلن) ـه الحمام (فاعلاتن)، والذي نريد أن ندلك عليه هو أن ضرب هذا البيت صحيح.
ولتقطع البيت الآخر:
من يهن يسـ (فاعلاتن) ـهل الهو ا (متفعلن) ن عليه (فعلاتن) ما لجرح (فاعلاتن)
بميت (متفعلن) إيلام (فالاتن).
وأنت ترى أن ضرب البيت الثاني قد حذفت منه (العين) وهي أول الوتد المجموع، وهذا الحذف يسمى (تشعيثًا)، وهي علة لأنها قد لحقت (وتدًا) ومع ذلك فهي غير لازمة.
فالتشعيث علةٌ غيرُ لازمة في بحر الخفيف، وكذا في المتدارك، وتستطيع أن تتعرف على ذلك بمراجعة ما علقنا به من قول العروضيين في البيتين:
ما بال العاذل يفتح لي ... باب السلوان وأوصده
ويقول: تكاد تجن به ... فأقول: وأوشك أعبده
فترى أن منهم من يزعم أن بع ض هذه التفعيلات قد دخله التشعيث، وأن هذا التشعيث جارٍ في الأعاريض والأضارب كما هو جارٍ في الحشو، وبذا يشاكل الزحاف من وجهين، الأول: عدم لزومه، والثاني: مجيئه في الحشو.
٢- وترى ذلك في نحو قول حافظ:
حطمت اليراع فلا تعجبني ... وعفت البيان فلا تعتبي
فما أنت يا مصر، دار الأديب ... ولا أنت بالبلد الطيب
وتقطيع الشطر الأول هكذا:
حطمت الـ (فعولن) يراع (فعول) فلا تعـ (فعولن) جبي (فعو)، وهذه عروض محذوفة، والحذف علة، فالأصل فيها اللزوم.
وتقطيع الشطر الأول من البيت الآخر هكذا:
فما أنـ (فعولن) ـت يا مصـ (فعولن) ـر دار الـ (فعولن) أديب (فعول)، فالعروض ههنا ليست محذوفة بل مقبوضة.
إذن: فالحذف لا يلزم في عروض المتقارب.
ونتبه إلى أن التشعيث والحذف علتان تكثران في الشعر العربي، وتُقْبلان.
والنتيجة:
أن هناك عللًا تجري مجرى الزحاف في عدم لزومها لما تلحقه، وفي ورودها حشوًا، ومن ذلك التشعيث في بحري الخفيف والمتدارك، والحذف في بحر المتقارب.
ومن ذلك علة سموها (الخزم)، وهي زيادة حرف إلى أربعة أحرف في أول البيت، مثل:
وكأن ثبيرًا في عرانين ودقه ... كبير أناس في بجاد مزمل
فالواو مزيدة؛ وأظن هذا من أخطاء الرواة.
ومن ذلك علة سموها (الخرم) -بالراء المهملة- وهو سقوط أول الوتد المجموع في أول البيت، وأنت تراه في الطويل، فتكون تفعيلته الأولى (عولن) بدل (فعولن) كقول الشاعر:
شاقتك أحداج لسلمى بعاقل ... فعيناك للبين تجودان بالدمع
التفعيلة الأولى (شاقت) ووزنها (عولن) بحذف الفاء، وذلك الخرم.
"موازنة بين الزحاف والعلة":
يوافق الزحاف العلة في ثلاثة أمور:
١- في مطلق الحذف.
٢- في الدخول على العروض والضرب.
٣- في الدخول على الأسباب.
ويخالف الزحاف العلة في ثلاثة أيضًا:
١- الزحاف مختص بثواني الأسباب، فلا يدخل الأوتاد مطلقًا، ولا يدخل أول الأسباب.
٢- الزحاف إذا دخل في تفعيلة من بيت لا يلزم تكراره في نظائرها من بقية الأبيات، بل يجوز إلا إذا جرى مجرى العلة، والعلة إذا حلت لزمت إلا إذا جرت مجرى الزحاف.
٣- الزحاف يدخل الحشو، والعلة لا تدخله إلا إذا جرت مجراه؛ كالخرم بأقسامه وكالتشعيث والخزم، ويراد عليها.
٤- الزحاف لا يكون بالزيادة، والعلة تكون بالزيادة؛ كالخرم بأقسامه وكالترفيل والتذييل والتسبيغ.

المراجع والمصادر

١ - الأسعد، عمر الأسعد، أهدى سبيل إلى علمي الخليل، معالم العروض والقافية، الوكالة العربية للتوزيع، ١٩٨٤م.
٢ - ابن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق : السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس - بيروت ١٩٨٠م.
٣ - التبريزي، الخطيب التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٢م.

٤ - سالم، أمين عبد الله سالم، عروض الشعر العربي بين التقليد والتجدي د، ١٩٨٥م.
٥ - السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق : رمضان عبد التواب، دار النهضة ١٩٨٥م.
٦ - الضبع، يوسف الضبع، الرِّياض الوافية في علمي العروض والقافية، دار الحديث - القاهرة ١٩٩٨م.
٧ - المبرد، القوافي، تحقيق : رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٧٢م.
٨ - مناع، هاشم صالح مناع، الشافي في العروض والقوافي، دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣م.
٩ - الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العربية - بيروت ١٩٩٠م.
١٠ -الهاشمي، محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، ١٩٩١م.